

برنامج شال في مواجهة الثورة الجزائرية 1961/1959¹

أ.د. أحمد مسعود سيد علي، جامعة المسيلة. الجزائر.

شكل برنامج الجنرال شال منذ استدعائه من طرف ديغول في صيف 1958، لقيادة هيئة أركان جيش الاحتلال الفرنسي بالجزائر، خطوة رائدة في تطور الإستراتيجية العسكرية لجيش الاحتلال الفرنسي في مواجهة الثورة الجزائرية، إستراتيجية جاء بها شال بطلب من الجنرال ديغول الذي كان يرموا إلى إضعاف خصمه ميدانيا ثم استقدامه للتفاوض أولا ضمن مائدة مستديرة تجمع ثلاث أقطاب جبهة التحرير الإدارية الفرنسية والقوة الثالثة- الحركة المصالية...- لأجل ذلك فإن شال جاء ببرنامج عسكري اعتمد في منهجه نطاقات عدة من الحرب النفسية إلى العمليات العسكرية الكبرى التي خاضها مرورا بتعزيز سياسة التطويق الحدودي بالجبهتين الشرقية والغربية للحدود الجزائر عن طريق استحداث خط موازي لخط موريس عرف باسمه خط شال، ومضاعفة إنشاء المناطق المحرمة على طول الحدود الشرقية والغربية للجزائر لتوسيع دائرة المناطق الخاضعة لسيطرة جيش الاحتلال يضاف الى ذلك توسيع نطاق المحتشدات أو الأحرى مضاعفة عدد المحتشدين بغية عزل وحدات جيش التحرير الوطني عن السكان.

إن هذه الإستراتيجية جند لها الجنرال شال كل الجهود معتمدا في ذلك على حرب لا هوادة فيها شنها ميدانيا ضد وحدات جيش التحرير الوطني طالت كل الولايات التاريخية الخامسة والرابعة والثالثة والثانية والأولى بدءا من فيفري 1959 إلى افريل 1961 بشكل جد منظم وفي وقت شبه منسجم، ساهمت بشكل أو بآخر في إضعاف جاهزية جيش التحرير الوطني ليس فحسب لمواجهة هذا البرنامج بل حتى لمواصلة الكفاح المسلح بنفس الإيقاع الذي كان خلال سنوات ما بعد انعقاد مؤتمر الصومام، ماهي دلالات هذه الجاهزية؟ إلى أي مدى ساهم هذا البرنامج في تحييد جبهة التحرير الوطني من المفاوضات الفرنسية الجزائري التي لاحت في الأفق؟ حدود حرب الاستنزاف التي خاضتها وحدات جيش التحرير الوطني في مواجهة برنامج شال والبدائل التي لجأت إليها؟ أسئلة سنحاول الإجابة عنها في هاته الدراسة بالاعتماد على مادة تعتمد الروايتين الفرنسية والجزائرية.

كان الوضع الداخلي للثورة في المجال العسكري مع مطلع سنة 1959، ينذر بشلل شبه كلي للجاهزية جيش التحرير الوطني في الصمود لمواجهة الضربات الموجعة التي كان يتلقاها على اثر تطبيق برنامج شال الجهني، برنامج تطورت فيه سياسة القمع الاستعماري بتوسيع دائرة المناطق المحرمة² خصوصا في المناطق المتاخمة للحدود لمضاعفة

¹ - موريس شال ولد في الخامس سبتمبر 1905، بفرنسا التحق بالمدرسة العسكرية سان كير سنة 1923، وتخرج منها برتبة ملازم أول سنة 1925، ليلتحق خلال ذات الفترة بالمدرسة التطبيقية للطيران حيث يتخرج برتبة ضابط طيران حيث يلتحق بالمدرسة العليا للطيران الحربي في سنوات 1937_1939، في أثناء الحرب ع ث التحق بالمقاومة سنة 1943، حيث عين رئيس مصلحة الاستعلامات الجوية في فرنسا المحتلة ثم نائب رئيس الأركان الجوية من سنة 1946_1949، ثم رقي إلى رتبة جنرال قائد لقوات سلاح الجو بالغرب الأقصى من 1949_1951، ومع عودة ديغول إلى الحكم سنة 1958، عين في شهر جويليه من نفس السنة قائد للقوات المسلحة بالجزائر إلى غاية أفريل 1961، حيث شن محاولة انقلابية فاشلة ضد الجنرال ديغول، قضت على مساره العسكري بمحاكمته بسجن مدة خمس عشرة سنة، أنظر:

Mourice CHALLE; NOTRE Révolte;E:presse de la cité Paris,1968;Page:sans numéro couverture du livre

² نفسه

سياسة عزل وحدات جيش التحرير، والاستمرار في إنشاء المحتشدات بشكل رهيب، علاوة على تنظيم ثلاث عشرة عملية عسكرية كبرى¹ طالت معظم الولايات طوق بها التراب الوطني.

لقد شرع الجنرال شال في تطبيق برنامجه العسكري الواسع النطاق بأراضي الولاية الخامسة بداية من 06 فيفري إلى 06 أبريل 1959، في إطار عملية خاطفة ومفاجئة عرفت باسم عملية التاج كورون حشد لها قوات عسكرية من مختلف الأسلحة قدرت *Couonne*² بثلاثين ألف جندي أضيفت للقوات التي كانت منتشرة بالجهة الغربية، وهكذا عززت هذه الأخيرة باللواء العاشر للمظليين، اللواء الثاني للبحرية، وكذا اللواء الخامس للمشاة و انطلقت في حملة تمشيط واسعة النطاق بغية تطويق الولاية ومنع وحدات جيش التحرير الوطني من التراجع نحو مناطق الولاية الرابعة، امتدت من جبال سعيدة، فرندة والونشريس وغليزان وتيارت وسوقر.

وعليه فإن وحدات جيش التحرير الوطني بالمنطقة الرابعة والسابعة أي مناطق مستغانم من الولاية الخامسة باغتتها عملية كورون، وتوهمت أنه بإمكانها مواجهة فرق الهندسة العسكرية التي كانت تهيئ في الأرضية والممرات عبر جبال الونشريس والظهرة، وهو نفس الاعتقاد تصورته أفواجا من المنطقة الرابعة للولاية الرابعة بعد ما تلقت أمرا بمهاجمتها من طرف العقيد بوقرة الذي ظن أن فرق الهندسة العسكرية التي كانت تشق في الطرق والممرات لا تمتلك حماية³، لأجل ذلك لاذت كتائب من المنطقة الرابعة والسابعة من الولاية الخامسة نحو تخوم الولاية الرابعة التي كان قادتها إلى أسابيع من بدأ عملية كورون يجهلون كل شيء عن العمليات الكبرى التي كان شال يعترم القيام بها والتي انطلقت بأراضي الولاية الخامسة، ومنه تصدرت هذه الأخيرة أولى النتائج الوخيمة التي كان يرمي إلى تحقيقها الجنرال شال في صفوف جيش التحرير الوطني، حيث أكد بمقر قيادة الأركان القوات الفرنسية في 26 أكتوبر 1959، خلال تقديمه لحصيلة العمليات التي طالت الولايتين الرابعة والخامسة، أن النتائج المسجلة بالقطاع الوهراني قضت على 50% من القدرات القتالية لجيش التحرير الوطني عدة وعتادا⁴، وهي بذلك دفعت بسياسية التهدة المزعم تحقيقها في إطار البرنامج⁵ العام لمخطط شال دفعتها نحو خطوات رائدة في الجهة الغربية برمتها⁶.

والظاهر أن الجنرال شال قد أولى أهمية كبرى للحرب السيكلوجية التي كان يخوضها إلى جانب المواجهة الميدانية، مع وحدات جيش التحرير الوطني في الولاية الخامسة، ذلك أن القطاع الوهراني ظل إلى حين انطلاق العمليات العسكرية الكبرى التي شنها شال يعيش تحت الدعاية المغرضة والتي تقوم على أنه استكان للوضع القائم وتفاعل مع سياسة التهدة، ويبدو أن شال قد استفاد من الواقع الميداني للولاية الخامسة منذ انطلاق العمل المسلح، بالنظر إلى انحصار العمليات الأولى في قطاعات صغيرة، ثم انسحاب قادة الولاية إلى ما وراء الحدود

¹ نفسه

² GUY PERVILLE: Atals De La Geurre Dalgeri; E: Autrement; Paris 2003, P: 39

³ لخصر بورقة: مذكرات شاهد على اغتيال الثورة نفس المصدر السابق، ص: 24

⁴ GILBER MEYNIER: HISTOIRE INTERIEURE DU F,L,N 1954_1962 OPCIT P300

⁵ MOHAMED TEGUIA: L'ALERIE EN GURRE; OP cit; P:375/376/377/378; et voire ALISAIR HORNE: Histoire de la guerre Dalgerie. E: albin michel; Paris 1987; p344/345/346

⁶ Maurice challe; Notre Révolte; E : Press de La cité; Paris 1968; P : 119

الغربية الأمر الذي جعل هؤلاء لا يولون أهمية كبرى للعمل الميداني داخل الولاية وينشغلون باستحداث قواعد خلفية ومراكز ساهمت دون شك في الكفاح المسلح لكنها استنزفت الطاقة البشرية للولاية من إدارات، وجموع اللاجئين الذين جندوا وتم تعبئتهم فيها، وغدا مصير الولاية معلقا بين مطرقة شال ووعود قادتها بالخارج.

لكن بالعودة إلى خريطة العمليات التي قادها قادة المنطقة السابعة من الولاية الخامسة في أثناء بدء عملية كورون في شهر فيفري 1959، نجد أن الأرقام التي قدمها شال بخصوص نتائج العملية، فيها من التحامل والمبالغة الكبيرة التي تروج للدعاية الحربية، ذلك أن نطاق المعارك التي خاضها جيش التحرير الوطني كانت تمتد على نفس المجال الذي كانت تسير وفقه عملية كورون، وفي شهر فيفري وحده بعد أيام من انطلاق العملية السالفة الذكر ردت أفواج من جيش التحرير الوطني عبر مراكز مختلفة وفي شكل أفواج صغيرة ضمن إستراتيجية جديدة تستجيب لواقع العمليات العسكرية، ردت في معارك أولاد دحمان وجبل سيدي رابح في 1959/02/20، بتيارت ومعارك جبل غزاله 18/مارس 1959، ومعركة دواسة في أفريل من ذات السنة ومعركة المطمر في 13/جويلية 1959¹. وتجدر الإشارة إلى أن نطاق المعارك التي تلت عملية كورون، امتدت على تخوم الولاية الرابعة أي بالمنطقة الرابعة والسابعة من الولاية الخامسة بمستغانم وغيليزان وتيارت وسوقر وهو ما يفسر لجوء كتائب من الولاية الخامسة الى تخوم الولاية الرابعة لتنسيق العمل العسكري²، تنسيقا انتهى باقتناع بعض قادة مناطق الولاية الخامسة بقبول وصاية الولاية الرابعة عليهم في غياب قيادتهم، وهو ما جعل هؤلاء وأولئك من المغضوب عليهم من طرف قيادة الثورة بالجبهة الغربية³.

إن امتدادات عملية كورون استمرت الى غاية شهر مارس 1959، حيث لامست حدود الولاية الرابعة غرب الونشريس أي المنطقة الرابعة من الولاية الرابعة لتنتقل عملية جديدة عرفت باسم عملية الحزام كوروا courroie من 18/أفريل 1959 إلى 19 جوان 1959⁴، جند لها أيضا الجنرال شال قوات قوامها 40000 عسكري من مختلف الوحدات والألوية، كاللواء العاشر بقيادة ماسو، واستعان بفرق الهندسة العسكرية لتهيئة الدروب والممرات عن طريق شق الطرق لتمكين مختلف الوحدات من الوصول إلى الأهداف المحدد، الشيء الذي حدث بجمال الونشريس، الظهرة، المدية و الأطلس البلدي⁵. وبغية تحقيق ذلك تم بناء وشق ما يعادل 200 كلم من الطرق بالولاية الرابعة، إلى جانب الطائرات المطاردة والمقنبلة والاستكشافية المدعمة بالطوفات، كما تم استحداث مركزا للفصائل الإدارية المتخصصة SAS، بغية تعزيز مراقبة السكان

¹ حول هذه المعارك، أنظر عبد المجيد بوجلة : الثورة الجزائرية بالولاية الخامسة اطروحة دكتوراه، ص: 190/191/192

² . لخضر بورقعة: مذكرات الرائد سي لخضر بورقعة شاهد على اغتيال الثورة، ص: 24، وأنظر

GILBER MEYNIER: HISTOIRE INTERIEURE DU F.L.N 1954_1962 OPCIT P405

³ محمد صايكي: شهادة تائر المصدر السابق، ص: 343

⁴ ALISAIR HORNE: OP CIT:p348 et GUY Pervillé; OP cit.:P: 39

وأنظر: لخضر بورقعة: مصدر سابق، ص: 24

⁵ . المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي لكتابة تاريخ الثورة التحريرية للولاية الرابعة 1962/1959، التقرير السياسي الجزء الأول دون

تاريخ ص: 13

والحيلولة دون احتماء وحدات جيش التحرير الوطني بهم،¹ هذا الأخير لم يكن على علم بما كان يحضر له الجنرال شال ولا بجسيم العمليات التي طالت الولاية الخامسة إلى عهد قريب، فعملية كورون التي انطلقت قبل ذلك في 1959/02/06-1959/04/06، حينما لامست تخوم الولاية الرابعة في 1959/03/27- المنطقة الرابعة المتاخمة للمنطقة السابعة من الولاية الخامسة بجبال سعديّة حيث سلسلة الونشريس- تصدّت لها كتيبة من المنطقة الرابعة للولاية الرابعة وهي تجهل أنّها تواجه في جيش حرار اعتزم تطويق الولايات بل قدرت حينها أنّها بصدد مواجهة فرق الهندسة العسكرية التي كانت تشق في الممرات .

وعليه اضطرت قيادة الولاية الرابعة للتكيف مع الوضع ومواجهة مخطط شال، وذلك بإعادة تنظيم كتائب جيش التحرير الوطني، سواء تلك التي كانت تواجه فرق الهندسة العسكرية بجبال الونشريس بالمنطقة الرابعة، أو تلك التي أتجهت من المنطقة السابعة للولاية الخامسة نحو الولاية الرابعة، واجتمعت بذلك للعقيد بوقرة سبعة كتائب وبعض الفصائل على أطراف الولايتين، كما قام ب:²

- إعادة تقسيم وحدات جيش التحرير الوطني إلى أفواج صغيرة وهذه الأخيرة إلى مجموعات أقل عددا تفاديا للضربات المكلفة في الأرواح.
- مضاعفة القيام بالعمليات الخاطفة و المركزة ضد الجيش الاستعماري في مركز تجمعهم بالمدن لإرباك قواته ودفعها لإعادة الانتشار.
- حوض حرب المدن بنقل المعركة من الريف إلى المدينة لتخفيف الضغط وتسهيل عملية التموين التي كان يعاني منها جيش التحرير الوطني.
- انتهاز أسلوب المفاجأة والاستنزاف اليومي لطاقت العدو باستغلال معرفة عناصر جيش التحرير لميدان المعركة

واجهت إذا كتائب العقيد بوقرة و كتائب الولاية الخامسة التي تراجعت إلى تخوم المنطقة الرابعة من الولاية الرابعة جيوش شال الحرارة الزاحفة نحو الولاية الرابعة في إطار عملية "كوروا" خلال أربع وأربعين يوما، مواجهة مستميتة و صمودا اضطرها في الأخير بالنظر إلى التفاوت العددي والنوعي إلى التراجع نحو جبال طابلاط.³ لم تستمر استماتة و صمود الولاية الرابعة بعد استشهاد العقيد بوقرة في العاشر من ماي 1959، في وجه مخطط شال بل ظلت تتكبد الضربات الموجعة من طرف وحدات جيش الاحتلال، التي كان يوجهها اللواء العاشر بقيادة ماسو وبقية الوحدات، لم تستمر على نفس النسق والوتيرة على الأقل في المجال السياسي، غير أنّ ذلك لا يعني أنّها ظلت متحكمة في المجال العسكري ميدانيا، بل بالعكس من ذلك فالخسائر التي سجلت

¹ MAURICE CHALLE; NOTRE Révolte; opcit P:108

² . لخضر بوقرة: مذكرات الرائد سي لخضر بوقرة" شاهد على اغتيال الثورة"، مصدر سابق، ص:26،/27، فحين أشارت جريدة المجاهد في أثناء المعارك التي خاضتها الولاية الرابعة ضد عملية كروا الى أن العقيد بوقرة استطاع تجميع تسعة كتائب أي 1200 جندي يمثلون خمس كتائب من الولاية الرابعة وأربعة كتائب من الولاية الخامسة، منها كتيبة الزيرية، الحسينية، الكريمة، وكموندوس الرائد سي جمال. أنظر المجاهد فيفري 1960. وأنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي لكتابة تاريخ الثورة التحريرية للولاية الرابعة 1962/1959، التقرير السياسي الجزء الأول دون تاريخ ص: 14 لخضر بوقرة: نفس المصدر السابق: ص: 24/ 25³

في صفوف وحدات جيش التحرير بالولاية جراء هذه العملية كانت كبيرة، حيث تراوحت وفق التقديرات الفرنسية بين 30% و40% من القدرات القتالية والعديد للولاية الرابعة من السادس فيفري إلى 19/جوان 1959، كما أن الوحدات الكبرى التي كانت تمتلكها انهارت وانشطرت إلى أفواج صغيرة وغدت هذه الأخيرة تتشكل من 06 إلى 10 أفراد، بدورها انشطرت الكتائب التي سجلت ملاحم الولاية من قبل إلى تسعة أفواج، أما فرق الكومندو فقدت هي أيضا هالتها وأصبح كومندو الزيرية مثلا لا يتجاوز عدده الثمانون جنديا لينشطر أيضا على إثر تنالي المعارك والحصار إلى فصيلة عادية تعمل في نطاق محدد.¹

وعلى الرغم من الضربات المؤلمة والمتعاقبة التي تلقته وحدات جيش التحرير الوطني بالولاية الرابعة في إطار مخطط شال العسكري، فإنها لم تسجل نفس الخسائر التي سجلتها الولاية الخامسة، ذلك أن قيادة الولاية بادرت قبيل عملية الاجتياح التي طالت أراضيها إلى دعوة وحداتها نحو التراجع إلى جبال بوزقزة وطابلاط²، معتمدة نظام تفكيك وحداتها الكبرى وتجنب المواجهة و العودة إلى حرب العصابات، الأمر الذي حال دون تحقيق الأهداف المسطرة من قبل الجنرال شال هذا الأخير الذي اعترف بخيبة أمله في عملية "كوروا" ، أثناء تقديمه حصيلة العمليات التي خاضها إلى أكتوبر 1959 معللا ذلك بقوله " إن النتائج تعرفونها جميعا، لقد كانت أقل مستوى من مثيلتها بالقطاع الوهراني، والسبب الرئيسي يعود بشكل لا غبار عليه إلى قلت الأولوية التي جندت في ميدان كان صعبا جدا ".³

وفي الوقت الذي كان فيه قادة الولاية الثالثة يتنازعون حول السلطة، انطلقت عمليات شال الكبرى لتضيف إلى المعاناة التي كان عليها جموع الجماهير الشعبية جراء عملية الزرق، لفحات جحيم العمليات العسكرية التي طالت أرضهم بدءا من 1959/07/20 إلى نهاية مارس 1960، تحت اسم عملية المنظار⁴، التي علقت عليها القيادة العسكرية والحكومة الفرنسية آمالا كبرى و أولتها الصحف الاستعمارية بدعاية كبرى في إطار الحرب الشاملة التي كانت تخوضها إدارة الاحتلال.⁵

لقد حشد الجنرال شال لهذه العملية 25000 جندي فرنسي حسب رواية أليستر هورن فضلا عن القوات المحلية المشكلة من الحركة⁶، أما الجنرال ميشال فورجي الذي كان رفقة شال في هيئة أركان القوات المسلحة الفرنسية بالجزائر، فقد قدر عدد الفرق العسكرية المشاركة في العمليات الكبرى ب: خمس عشرة فرقة من مختلف الأسلحة،⁷ في حين تذكر بعض المصادر الجزائرية حسب روايات مجاهدي منطقة القبائل، بأن عدد القوات التي حشدت وصل إلى مائة ألف جندي أضيفت لهم قوات الحركة والطواير الإفريقية المشهورة بوحشيتها، معززة ب 4000 شاحنة

¹ GILBER MEYNIER: HISTOIRE INTERIEURE du F,L,N 1954_1962 OPCIT P301

² Idem . وأنظر لخضر بورقعة نفس المصدر السابق: ص 25

³ MAURICE CHALLE; NOTRE Révolte; opcit P:108 et voire ALISTAIR HORNE: OP CIT:p348

⁴ GUY Pervillé; OP cit.:P: 39

⁵ عملية جويمال هل تكون الأخيرة المجاهد 1959/08/10

⁶ ALISTAIR HORNE: Op. CIT P:349

⁷ ميشال فورجي: الحرب الباردة وحرب الجزائر، مختار عالم، دار القصة للنشر الجزائر 2008، ص: 208

عسكرية و2000 دبابة مصفحة وعدة أسراب من الطائرات القتالية1000 طائرة، وحوالي 100 مروحية تسندها عشرات السفن الحربية الراسية على طول الساحل بين جيجل ودلس¹، وهي أرقام تبدو مبالغاً فيها بالنظر إلى أن العملية جاءت متزامنة مع عمليات أخرى طالت ولايات أخرى²، أما محمد تقيّة فيقدرها بخمسين ألف جندي ضمت الفرقتين العسكريتين، الفرقة العاشرة و الخامسة والعشرين للمظليين رفقة عتاه جنرالات جيش الاحتلال الفرنسي: Bonnet, Olié, Massu, Dulac, Dudognon, Gilles, Cazenave, Gracieux و³.Faure

أشرف الجنرال شال على عملية المنظار شخصياً انطلاقاً من مركز قيادته الذي أقامه في أعالي جبال جرجرة حوالي 1720م، كي سيتسنى له الإبقاء على الاتصال الدائم مع مختلف الوحدات والفرق التي انتشرت بتراب الولاية وغطته شبه كلية، ومنه يوجه شال الأوامر والتعليمات إلى الفرقة العاشرة للمظليين بمنطقة القبائل الكبرى، والفرقة الخامسة والعشرين للمظليين بجبال البابور والقبائل الصغرى⁴.

كما أقام لهذه العملية دعاية إعلامية كبرى توجت بزيارة الجنرال ديغول لمركز قيادته بأعالي جرجرة في 28 أوت 1959⁵، ليقف على وحشية العمليات التي طالت المنطقة برمتها، ووحشية تجلّت في القضاء على كل شيء يمت بصلة إلى الحياة في سبيل تجويع وحدات جيش التحرير الوطني، فعلى سبيل المثال أقدمت جحافل جيوش شال بمنطقة دوجي قرب الصومام على إتلاف ما يعادل 15000 شجرة تين والقضاء على 250 رأس من القطعان، كما فقدت ذات المنطقة ثلث سكانها 1200 ما بين شهيد وفقيد⁶ وحتى أولئك الذين اقتيدوا إلى المحتشدات فإن حياتهم كانت أشد فظاعة، ففي إحدى القرى التي كانت مهياًة سلفاً لأن تكون محتشداً كان مقرراً لها أن تضم 3000 فرد وفي أثناء بدء عملية المنظار سيق 15000 فرد إلى ذات المحتشد مما جعل حياتهم هناك رهينة لمختلف الأمراض والأوبئة، ناهيك عن حالة الإعياء الكلي التي طالت الأهالي⁷، فحين فقدت

شهادات بعض مجاهدي منطقة القبائل حول عملية جومال شريط سمعي متحف المجاهد بتيوزو جويلية 2000¹

². فحين قدرت الحكومة المؤقتة آنذاك عددها 70 ألف جندي، مما يوحي بأن التقارير التي تقدم في الغالب من بعض المجاهدين خلال الملتقيات التاريخية يغلب عليها طابع المبالغة الأمر الذي يستوجب مقارنتها والتحقق منها، فالبنظر إلى عدد العمليات المخصصة لتنظيم برنامج شال وعددها ثلاث عشرة وطريقة وتاريخ توزيعها يتبين لنا نسبياً العدد الذي يكون قد صخر لأجل شن عملية المنظار، أنظر: GUY OP cit.:P: 39 Pervillé و: المجاهد 20/فيفري 1960

³ MOHAMED TEGUIA: L'ALGERIE EN GURRE OPCIT;P:305

⁴ PIERRE Montagnon: La guerre d Algerie Genèse et engrenage dune tragédie, E gerard watelet pygmaton paris 1984,P:295

⁵ ديغول، مذكرات الأمل التجديد 1962/1958، ت: سموي فوق العادة، منشورات عويدات بيروة 1971، ص: 83

⁶ ALISAIR HORNE: OP CIT:350

⁷ ALISAIR HORNE: OP CIT:p:353

وحدات جيش التحرير الوطني العاملة بالولاية خلال سبعة أشهر من العمليات العسكرية 45% من عتادها العسكري وثلاثي¹ تعدادها العسكري وفق ماذكره الرائد حميمي فيضال عضو مجلس الولاية الثالثة.² وقبل الانتهاء من العمليات المسلطة على الولاية الثالثة انتقل شال تزامنا مع ذلك إلى الشمال القسنطيني حيث انقضى على أراضي الولاية الثانية عبر برنامج عسكري في مرحلتين، بداية من 06 سبتمبر إلى التاسع من شهر نوفمبر 1959، انطلقت عمليات الأحجار الكريمة كمرحلة أولى ثم في المرحلة الثانية من أبريل 1960، إلى غاية سبتمبر 1960، حشدت لأجلها قوات عسكرية كبيرة من مختلف الأسلحة بين 35 ألف، إلى 50 ألف جندي من الفرقتان الخامسة والعشرون والحادية عشرة للمظليين، عانت خلالها الولاية الثانية الويلات، إن على مستوى جيش التحرير الوطني الذي تراجعت قدراته القتالية أو شعبيا بانتشار وتضاعف عدد المحتشدات التي وصلت إلى خمسين محتشدا.³

كان من بين الأهداف الرئيسية لمخطط شال هو عزل جيش التحرير الوطني عن الشعب والتضييق عليه في مساحات محدودة تسهل عملية اختناقه، ولتحقيق هذا الهدف عمل جيش الاحتلال على تطويق كامل للتراب الوطني وجعله منطقة عسكرية محظورة.

فعلى سبيل المثال شهدت المناطق الريفية التالية بالشمال القسنطيني تطبيق هذه السياسة لتعلن مناطق ممنوعة وتسهل عملية خنق جيش التحرير الوطني⁴:

- ناحية قسنطينة: بعيد مناطق المالح، الغراب وفوبورلامي كلها مناطق اعتبرت ممنوعة

-ميلة: بعد مائة متر من الأسلاك الشائكة منطقتي الساريج، أولاد عبدون تعتبر مناطق محرمة

-القل: إلى ما وراء أي ما بعد الأسلاك الشائكة فإن الكل اعتبر منطقة ممنوعة.

وعليه فإن المنطقة كانت تشهد بسرعة تكاثر المراكز الأمامية المشكلة من السكان في إطار المحتشدات، وتبقى المد اشر التي نجت من ذلك عرضة لحمات التمشيط المتتالية ليبقى الرعب و الخوف من التفتيش، والاستفزاز والإذلال هاجسا يطارده هؤلاء⁵.

¹. ووفق برقية وجهها الرائد حميمي فيضال إلى هيئة الأركان العامة في مطلع سنة 1960، حول وضعية الولاية الثالثة تعرض فيها إلى عدد شهداء عملية جومال حوالي 8000 شهيد، أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الندوة الولائية لكتابة تاريخ الثورة التحريرية فترة 1959/1962، بجاية 1986/09/04.

² GILBER MEYNIER: HISTOIRE INTERIEURE DU F,L,N 1954_1962 OPCIT P302

لخضر بوالظمين" الولاية الثانية المرحلة الانتقالية، مجلة أول نوفمبر عدد 145، 1994، ص: 20³

⁴ م.م.و.و. للأرشيف: م.و.و.ث. ج: دورة أوت 1961، حصيلة نشاط وزارة الداخلية تقرير لخضر بن طوبال، علبه مصورة رقم: C039

⁵ أنظر نفس التقرير في مذكرات الرئيس علي كافي: مرجع سابق: ص: 184، 209، رغما ذلك فإن الجماهير الشعبية التواقفة للحرية استغلت وجودها في المحتشدات المأساوية وأخذت شيئا فشيئا تنظم نفسها في داخلها حيث أوجدت تنظيمًا لجهة التحرير الوطني، وهو الأمر الذي كان يوحى بنضجها السياسي، أنظر رسالة الولاية الرابعة: 20/06/1961، إلى ح.م.و.و. ج. في م.و.و. للأرشيف: م.م.و.و.ث. ج: دورة أوت 1961، علبه مصورة

رقم: C043

أما أولئك الذين لاذوا الفرار من عمليات التمشيط والاعتقال بعد أن ساعفهم الحظ في الريف واتجهوا نحو المدن فإنهم شكلوا الشريحة التي ظلت تعيش على هامش المدن عن طريق التسول في ظل حرمانهم من العمل، باعتبارهم مشبوهين، و بالتالي فإن وضعهم لم يكن يختلف بكثير عن أولئك الذين زج بهم في المحتشدات .
إن هذه الوضعية هي التي دفعت بقيادة الولاية الثانية إلى توجيه نداء استغاثة إلى الحكومة المؤقتة في 17 نوفمبر 1959، بعد شهرين من انطلاق عملية الأحجار الكريمة على أراضيها وصف فيه الوضع المأساوي الذي آلت إليه أوضاع الولاية كما يلي:¹

2_2 الوضع العسكري: تمكن جيش الاحتلال من توزيع وحداته على كامل تراب الولاية بشكل سمح له بتطويق جميع وحدات جيش التحرير الوطني، مستهدفا قطع شبكة الاتصالات برغم بدائيتها، وإضعاف قدراته القتالية التي غدت عديمة الجدوى أمام ترسانة العدو الحديثة، وهو ما جعلها تتكبد في ذات الفترة أي من سبتمبر إلى نوفمبر 1959، حوالي 300 شهيد، الأمر الذي فرض على مسؤولي جيش التحرير الوطني إعادة تنظيم وحدات وأفواج هذا الأخير بما يتناسب مع الواقع الميداني العسكري تفاديا للضربات القاتلة والمتكررة للعدو، يضاف إلى ذلك انتهاج العدو لحرب نفسية حاضها في صفوف الجماهير لردعها وعزلها عن جيش التحرير الوطني. وعليه ألح قادة الولاية الثانية في مراسلتهم للحكومة المؤقتة على ضرورة إرسال 3000 جندي المتواجدين بالحدود الشرقية لاسعاف وتعزيز ما تبقى من وحدات جيش التحرير بالولاية وتقوية قدراتها في مواجهة العدو، من جهة أخرى أوضح قادة الولاية الوضع المتردي لوحدات جيش التحرير في مجال العتاد بالنظر إلى الحصار الذي فرض على أراضي الولاية، حصار لم يؤثر فقط على الأوضاع الغذائية واللباس بل تطور الى ظهور أمراض جماعية باتت تؤثر على حركة الوحدات غير ثابتة بالنظر إلى المطاردة المستمرة.²

3_2 الوضع السياسي: لقد دفع الشعب نحو البؤس والشقاء المحتم جراء التطويق المفروض من طرف قوات جيش الاحتلال، التي قامت بتجميع أعداد كبيرة من الجماهير في المحتشدات وطردتهم من قراهم ومدنهم، وأبادت ثروتهم الحيوانية على قتلها ومزارعهم البدائية، والحالة هذه وفي غياب الإعانات القادمة من الخارج فإن جيش الاحتلال انتهج سياسة جديدة بالتوازي مع عمله القمعي في محاولة منه لاستدراج الشعب، بحيث قامت إدارة الاحتلال بتطبيق سياسة التهدة عن طريق منح قروض فلاحية للفلاحين والإعانات للمعوزين، طريقة كانت تنذر بدفع الشعب إلى الارتقاء في أحضان فرنسا إن لم تسارع الحكومة المؤقتة في تدارك الوضع، أما عن الوضع بالمدن فإن الجماهير غدت رهن حملات الاعتقال والتفتيش والاعتداءات التي طالت الأعراس، في الأخير

¹ .رسالة الولاية الثانية إلى الحكومة المؤقتة 17، نوفمبر 1959، في مذكرات علي كافي: مصدر سابق ص: 317_319،

² . إن هذا العدد هو الذي تحاشى ذكره علي كافي خلال اجتماع العقلاء العشر، فهو لم يشر إلى وحدات الولاية الثانية المرابطة على الحدود، في حين ذكر خلال اجتماع لجنة العشرأوت/ديسمبر 1959، أن عدد قوات الولاية بالداخل 3338 جندي، لكنه تفادى ذكر عدد جنود الولاية الثانية الذين كانوا مرابطين على الحدود بعد أن طوقت هذه الأخيرة، ولكن بالعودة إلى مذكرات علي كافي تتضح لنا الصورة بخصوص عدد القوات المرابطة بالحدود من الولاية الثانية وعددها 3000، جندي كما ذكرت الرسالة الموجهة إلى الحكومة المؤقتة في نوفمبر 1959، فإذا كان قادة الولاية الثانية وهم متواجدين بالداخل وفي خضم المعركة كانوا على علم بتعداد قواتهم المرابطة على الحدود .ولسنا ندري لماذا أراد علي كافي التعمية على عدد قوات الولاية الثانية المرابطين على الحدود، هل كان هذا الرقم يسبب احراج لقادة الولاية الذين سيظهرون بمثابة المتخلي عن الداخل ؟

حمل قادة الولاية الثانية الحكومة المؤقتة مسؤولية الوضع الذي آلت إليه أوضاع الثورة،¹ بالنظر إلى أنها لم تستجيب لنداء الإغاثة الذي كان يوجهه الداخل في العديد من المراسلات.

وفي مراسلة أخرى وجهها علي كافي إلى الحكومة المؤقتة بتاريخ 29 أكتوبر 1960، أوضح قائد الولاية حجم الخسائر التي خلفتها عمليات مخطط شال في الولاية الثانية طيلة ستة أشهر دون انقطاع، على مستوى التنظيم السياسي المدني لجبهة التحرير الوطني قضى العدو على 90% من هذا التنظيم، على الرغم من أن المناضلين كانوا يعيدون استحداثه من خمس إلى ست مرات في بعض القرى والمداشر، و بذلك غدت معنويات جموع الريفيين والحضر على حد سواء منهارة جراء سياسة القمع، في الوقت الذي زج بالشريحة الأولى من الشعب أي سكان الريف في الاحتشدات بعد أن شهدت كل أنواع سياسة القمع من اغتصاب واعتقالات عشوائية، و نهب لممتلكاتها وبذلك أصبح الوضع العام للثورة بالداخل خطير جد وينذر بالزوال الحقيقي للمشروع الثوري، في الأخير ناشد قائد الولاية قادة الخارج للإسراع من أجل تدارك الوضع للوفاء بوعودهم المتعلقة بإمداد الداخل بالسلاح والإطارات لفك الحصار المطبق الذي فرضه جيش الاحتلال.²

احتتم مسار العمليات الكبرى التي خاضها الجنرال شال بأراضي الولاية الثانية بالتوجه نحو أراض الولاية الأولى بداية من الثامن إلى 20 أوت 1959، تحت اسم عملية الشرارة التي طالت منطقة الحضنة أي المنطقة الأولى من الولاية الأولى، بهدف تفكيك مواقع جيش التحرير الوطني، ثم عملية فلامش من 21 إلى 31 ماي 1960، بأعالي الحضنة، لتختم بالانقضاء على قلب الولاية في إطار عملية تريدان Trident، خلال شهر أكتوبر 1960، وأفريل 1961.³

وعليه وبحلول شهر أكتوبر سنة 1961، انتهت أوضاع جيش التحرير الوطني بالولاية الأولى نسبيا إلى نفس الوضعية التي كان عليها عشية الانطلاقة، فمن حيث التعداد لم يكن يتجاوز 1000، و 1200 جندي فتعداده ظل في تناقص مستمر بفعل الخسائر الكبرى التي سجلت في صفوفه جراء الأوضاع المزرية التي خلفتها العمليات العسكرية لجيش الاحتلال، وغدا بذلك المجاهد يعيش حالة التيه من جديد لا يجد العدد والعدة الكافية لمواصلة المواجهة سوى قوة التلاحم الشعبي التي ظلت صامدة ولم تنفذ، رغم حالة الجفاف التي تعرضت لها الجزائر خلال سنة 1960_1961، وظهور الجماعة في بعض المناطق وتنامي نسبة البطالة التي انتشرت بشكل مهول بسبب غلق الورشات من طرف الأوربيين، وبالرغم من مظاهر القسوة المرتبطة بسياسة القمع الاستعماري، من طرف المعمرين وجيش الاحتلال على حد سواء، والتي تجسدت في الاعتقالات، اغتصاب النساء وأعمال السلب، وتضاعف الإعدامات في صفوف المناضلين، بالرغم من كل ذلك فإن الجماهير الشعبية ازدادت حقا وضعيفة على إدارة الاحتلال، و أخذت تعيش حالة الإعياء المطلق الذي يجعل من الفرد لا يشعر بالألم ومستعدا لوضع حد لمأساته

رسالة الولاية الثانية إلى الحكومة المؤقتة 17 نوفمبر 1959 في مذكرات علي كافي مصدر سابق ص: 319¹

رسالة الولاية الثانية إلى الحكومة المؤقتة 29 أكتوبر 1960، في مذكرات علي كافي، مصدر سابق ص: 325²

³ GUY PERVILLE: ATLAS DE La GUERRE DALERIE; E AUTREMENT; PARIS 2003, P: 38

بأية طريقة كانت، وبالتالي فلا غرابة أن نجد جموع الجماهير هذه تتعلق أكثر بقيادتها الثورية وتأمل في تحقيق
النصر.¹

¹ مصطفى مرادة: مصدر سابق ص: 183_185